



المركزية في حياة الإنسان

(012) سورة يوسف

محاضرة في الأردن

2024-04-29

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المركزية في حياة الناس هي الوحي، كتاب الله تعالى وسنة رسوله:

وبعد أيها الإخوة الكرام: قامت الحضارة الإسلامية على فكرة أنَّ المركزية في حياة الناس وفي حياة المخلوقات هي الوحي، كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بينما قامت الحضارة الغربية وكثير من الحضارات الشرقية على أنَّ المركزية هي للإنسان، ما معنى المركزية للإنسان؟ بمعنى أنَّ كل شيء يدور في فلك رفاهية الإنسان، لا أقول إسهاد الإنسان، ولكن رفاهية الإنسان، فنشأ عندنا دعوات لتحرير الإنسان من كل القيود، بُغية تحصيل رفاهيته، نشأ عندنا بُعْداً عن كل تدنٍّ، لا تُريد شيئاً يُحدِّد حركة الإنسان، لأنَّ الإنسان هو المركز، فالحياة كلها ينبغي أن تكون في سبيل رفاهيته، فأصبح عند الحضارة الغربية الهدف هو إصلاح الأشياء للإنسان، أي هو عصر الأشياء، كيف تُحقَّق له أعلى رفاهية ممكنة؟ الجوّال، الحاسوب، وسائل الراحة، البيوت الكبيرة، السيَّارة الفارهة، الفراش الوثير، عصر استهلاكي من أعلى مستوى، استهلاك، هذا يُسمونه المجتمع الاستهلاكي.

نزل أحدهم إلى السوق فقال: ما أكثر الأشياء التي لا نحتاجها، العصر الاستهلاكي، أو بالمجتمع الاستهلاكي، تدخل إلى السوق، الأشياء أكثرها لا نحتاجها، نحتاج الطعام والشراب والكساء، لكن ليس حاجة، كله كماليات، وجميعنا وقعنا في هذا الفخ بطريقه أو بأخرى، لأنَّ العصر يؤثِّر في جميع الناس كل بحسب إمكانياته، الإسلام حدَّد أنَّ المركزية هي للوحي، بمعنى أنَّ كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هي مَنْ تُحرِّك الإنسان، هي المَعْوَل عليه في حركة الإنسان في الحياة، فالمؤمن عنده يجوز لا يجوز، حلال حرام، أي هو يتقيَّد بقبول الشرع، يلتزم بما أمر الله تعالى به، وينتهي عملاً تهى الله تعالى عنه، فالمركزية عنده للوحي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يعني بتعليمات الخبير أو بتعليمات الصانع.

إذا تحرَّك الإنسان بلا منهج سيُفْسِد:

هَبَّ أنك اشتريت آلةً غالية الثمن عظيمة النفع، لكن لم ترسل معها الجهة الصانعة كُتَيْب صغير يُسمَّى الكاتلوك، فيه تعليمات التشغيل والصيانة، الآن أنت أمام خيارين، إمَّا أن تستخدم الآلة بخلاف التعليمات فتعطّلها، أو أن لا تستخدمها فتعطّلها لم تستفيد منها شيئاً، ليس هناك حالة ثالثة، هنا نقول هل الآلة أفضل أم التعليمات؟ التعليمات، لأنك بغير التعليمات لن تستطيع تشغيل الآلة، أو ستعطّب الآلة، ولأنَّ الإنسان كائن حركي، سيتحرَّك، وإذا تحرَّك بلا منهج سيُفْسِد، هذا هو الفساد في الأرض، الفساد في الأرض ما هو؟ كائن إذا أردت تعريفاً جامعاً مانعاً له، هو كائن مُكلَّف تحرَّك من غير منهج، فأصبح هناك فساد، فسدت وأفسدت، يُريد أن يحقق شهوته بالنساء مثلاً الزنا، الاعتصاب، بيع الإماء، كما يحصل الآن بين أوروبا الغربية والشرقية، ليُحقق رغباته، يُريد أن يُحقِّق أعلى قدر من المال، غش الناس، ابتزاز أموالهم، عمل بالربا، احتكر البضائع ليبيعهها عند غلاء ثمنها، كائن يتحرك بغير منهج، سيُفْسِد في الأرض، إمَّا إذا تحرك وفق منهج الله عزَّ وجلَّ صلح، فصحيح أنَّ الديانات أو الشرائع السماوية التي جاءت من عند الله، ونايحتها وخاتمتها شرعية الإسلام، وديننا دين الإسلام، جاء والمركزية فيه الوحي، لكن لأنَّ المركزية فيه للوحي أصلح للإنسان، بينما الحضارة الغربية لأنَّ المركزية فيها للإنسان، اعتنت بأشياءه فأفسدت.

الغرب قال المركزية للإنسان، إذا يجب على الإنسان بالنتيجة أن يسعد، لكن في الواقع هل يسعد الإنسان؟ لا لم يسعد، أعلى نسب انتحار بأغنى الدول في العالم الغربي، هل يشعر بالسعادة بعد أن تُهيئ له الكحول والخمر في عطلة نهاية الأسبوع؟ هو لا يشعر بالسعادة، فهم أرادوا أن يجعلوا المركزية للإنسان يُسعدوه، فأصلحوا له أشياءه، لكن لم يُصلحوه، فشقى وأفسد في الأرض، بينما الإسلام قال المركزية للوحي، نحن نتحرَّك بضوء الوحي، بنور الوحي، ويتحرَّك الإنسان في فلك الوحي، فصلح الإنسان، فأصبحت الأشياء صالحة حكماً، لأنه هو صالح فأصلحها، استثمر الأرض، استثمر الخيرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (206)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ الْفَسَادَ (205)

(سورة البقرة)

(وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) ارجع للوحي، إلى أصل المركز الذي في ديننا (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْمِهَادُ).

لا يُسمح للإنسان أن يتحرك بغير مرجعية:

فإدأ أيها الكرام، هذه مقدمة أقصد منها بيان شيء مفهوم عندكم جميعاً، لكن نؤصله من خلال الوحي، وهو أنّ الإنسان في الشرائع السماوية، وفي ديننا دين الإسلام حكماً، لا يُسمح له أن يتحرّك بغير مرجعية، فكل شيء مُتعلق بمرجعته التي هي الوحي.

مثال: في عالم الناس يكون العقد شرعية المتعاقدين، يعني وفق هذا المبدأ إذا أنا عملت عقد مع بنك ربوي، أو مع أي شخص بلا بنك، أقرضت شخص ألف وقلت له تَرُدّها لي ألف ومائتان بعد سنة، عشرون بالمائة فائدة، أنا راضي وهو راض كذلك، والعقد شرعية المتعاقدين، المرجعية هي الإنسان، أنا المرجع، وأنا قررت أنه لا يوجد لدي مشكلة وهو أيضاً لا مشكلة لديه، ومثلها تماماً رجلُ التقى بامرأة، لا يوجد اعتصام نهائياً، هو راضي بقضاء شهوته، وهي رضية أن يقضي شهوته معها، هو راضي وهي راضية أين المشكلة؟

العقد شرعية المتعاقدين، هذا في مبدأ الحضارة الغربية، أو الحضارة الغير إسلامية، أي إن كانت غربية أو شرقية، أمّا في الإسلام لا، العقد شرعية المتعاقدين نعم، لكن مالم يُخالف نصّاً شرعياً، لأن المرجعية للشرع للوحي، فالعقد بين الرجل والمرأة يحتاج كتاب الله وسُنّة رسوله، أي تزوجت، قبلت، فاصبح حلالاً، لا يوجد لقاء خارج هذا الإطار حتى لو كان بالتراضي، الموضوع ليس تراضي، الموضوع أنني أرجع لشرع الله عزّ وجل، عندي مرجعية، عندي مركزية، أنا لست مركز الكون.

فإدأ ما المشكلة أن يكون الإنسان مركز الكون؟ قلنا إنه يُفسد في الأرض، المُشكلة الثانية أنه إذا كل إنسان سيعتبر نفسه مركز الكون، فأنا عندي اليوم ثمان مليارات مركز في الكون، لأن كل إنسان يُعدّ نفسه هو محور الحياة، هو يقول لك أنا ما عندي مشكلة، لكن الآخر يرى في فعله مشكلة، والثالث يقول لك أنا عندي مشكلة ثالثة، والرابع عنده مشكلة في شيء رابع ليس عند الثاني والثالث والأول، وهكذا..

هل يمكن للقانون أن يحلّ محلّ الشريعة؟

فما دام لا يوجد تعليمات واضحة صارمة، يلتزم بها الجميع، إدأ كل إنسان يُشرّع لنفسه، فهل القانون ممكن أن يحلّ محلّ الشريعة؟ إلى حدّ ما، يعني حتى أكون منطقي، الشريعة هي قانون إلهي، لكن القانون في النتيجة يجتمع عليه عدد كبير من البشر، لكنه يبقى قانوناً وضعياً بشرياً، فيتجامل عليه الناس، كما لو أنك تريد أن تضبط حركة السير في الطريق، فتضع كاميرا للمراقبة، السرعة فوق الثمانون ستصوّر المركبة، فيأتي سائق المركبة يُحدّد أماكن الكاميرات على جوجل، وقبل أن يصل إلى الكاميرا، يُعطيه جوجل تنبيه بأنك قد وصلت، فيُخفّف السرعة، وبعد تجاوز الكاميرا يعود لزيادة السرعة، فالقانون عندما يكون بشرياً، يسعى الناس دائماً للتجامل عليه، لكن عندما يكون إلهياً، يُصيح الوازع الداخلي، وليس رادعاً خارجياً.

في فترة ما قرر الاتحاد السوفييتي، قرأت عن ذلك، أن يُنهي بيع الخمر، ووجد أنّ لها آثار سلبية صارمة جداً، فوجد بالقانون أن يمنعها، ويتحدثون عن كم شخص أُعدم بتهمة إدخال الخمر بطرق غير شرعية، وعن عدد الصحف التي طُبعت والمنشورات التي نُشرت، واستمر الأمر سنة أو سنتين فيما أذكر، ثم أباحوها من جديد، بالمركزية للشرع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ ۖ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)

(سورة المائدة)

قالوا انتهينا، اجتنبنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)

(سورة المائدة)

قالوا انتهينا، يقول كُتَاب السيرة فأصبح أُرُقَّة المدينة فيها أنهار من الخمر، أفرغوا ما في آنتهم بلحظة واحدة.

إذاً القانون ممكن أن يُسيطر على عدد مُعَيَّن من البشر بعدد لا يأس به من الفضايا، وبصيطهم، لكنه يبقى تشريعاً أرضياً ناقصاً قابلاً للتعديل، قابلاً للتحوّل، ليس فيه وازع داخلي، إنما يعتمد على الرادع الخارجي، والرادع الخارجي يمكن أن يُحقّق نسبة مُعَيَّنة من الالتزام، لكن الإنسان إذا أغلق بابه ودخل بيته، فعل ما يحلو له، إذ لا رقيب ولا حسيب.

المركزية في التصوّر الإسلامي هي للوحي ومركزيتنا هي الوحي:

أحبنا الكرام، من هذا المُنتَلَق، أن المركزية في التصوّر الإسلامي، هي للوحي، وأنا جميعاً ندور في قَلَك الوحي، ومركزيتنا هي الوحي، وعودتنا إلى الوحي.

نقول على سبيل المثال: العلاقات بين الناس، الحُبُّ نحن عندنا حُبٌّ في الله، بمعنى أنني أنا أحبك، محبتي لك ما الرابط الذي يربطني بك؟ هو الله، بهذا المعنى يمكن أن يكون أحم لي في غير النسب، يعني أحم لي في الله في الدين، أحمّتي معه أعمق من أحمي التنسيبي، إذا كان أكثر التزاماً بدين الله تعالى، مُحافظاً على الصلوات، مُقيماً لها، مُحافظاً على الفرائض، فتصبح علاقتي به أوثق من علاقتي بأحمي التنسيبي، إذا كان لا سمح الله بعيداً عن الله، شارداً يفعل المُتكررات مثلاً.

فالْحُبُّ في الله، يعني كل علاقةٍ تربط بين شخصين ترجع إلى الله، بر الوالدين في الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ۚ وَابْتَغِ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)

(سورة لقمان)

إني أحبهم، نعم حبهم لكن في الله، يعني طالما أنت وهم تحت مظلة منهج الله، فالير واجب، والعقوق إنم كبير، والطاعة مطلوبة، فإذا خرجا عن منهج الله وأرادا منك فعل شيء لا يرضى الله، (فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ).

الحُبُّ في الله عين التوحيد والحُبُّ مع الله عين الشرك:

زوجتي أحبها في الله، لكن عندما تطلب مني شيئاً فوق إمكانياتي الماديّة، فألجأ إلى الرشوة من أجل تحقيق مطالبها، هذا الحُبُّ أصبح مذموم لأنه ليس في الله، يُسميه ابن القيم رحمه الله "حُبُّ مع الله" أصبحت تُحبُّها مع الله، أي أنت تُحبُّ الله لكن تُحبُّ زوجتك أيضاً معه، فيمكن في حالة مُعَيَّنة أن تُمايز فتقول: لعلها تغضب مني سأحقّق لها رغبتها في معصية الله، إذاً هذا حُبُّ مع الله وليس في الله.

شريكى، أنا وهو في شراكة، وهناك محبّة ناتجة عن ضحية طويلة، وأسفار مشتركة، وإقامة بالفنادق مشتركة، فهناك ضحية مُعَيَّنة، هذا الشريك أراد أن يستورد مادة مُحَرّمة، تُضيفها للبضائع التي تُنجز بها، فحنتي لا أغضبه، ولا يُفصّل شراكتي معي، وكبي لا ينزعج مني، فتكون العلاقة متوترة دائماً، سكّنت له عنها، يُريد أن يستورد شيء لا يرضى الله عزّ وجل، فاستوردته معه، ووقعت العقود وأتيت به، هنا العلاقة ليست في الله، أصبحت مع الله، أمّا إذا قلت له لا يا شريك، لقد بنينا العلاقة في الله، وهذه المادة مُحَرّمة، وأنا لن أغش المسلمين، ولن أبيعهم بضاعة أربح منها ربحاً شديداً لكن فيها مواد مُسرطنة مثلاً، امتنعت، إذاً أنا أحبه في الله وليس مع الله.

سيدنا عُمر بن وهب الجُمحي رضي الله تعالى عنه، قبل أن يُسلم، جلس بقاء الكعبة هو وصفوان بن أمية، عقب غزوة بدر، وجلسا يتذاكران هزيمة بدر، ويتحدثان عن قتلاهم في المعركة، وعن المُصاب الأليم الذي ألّمّ بهم، فُعمر بن سعد بلحظة انفعال شديدة قال: "والله لولا ديون ركبنتي، وأولاد أخاف عليهم الفقر من بعدي، لذهبت وفتلت محمداً وأرحتكم منه".

صفوان بن أمية ذكي، اقتنص الفرصة وقال له: "ديونك علي مهما بلغت، وأولادك أولادي مهما امتدّت بي الحياة، فاهب واقتل محمداً، وأرحنا منه".

فسقى سيفه سُماً، وسافر من مكّة إلى المدينة، فلما دخل رأى سيدنا عمر، فأخذه من تلابيه وربطه بقلادة سيفه، وأدخله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: <. ورد في سيرة ابن هشام

موطن الشاهد، الآن سيدنا عمر يراقب المشهد، فقال عمر رضي الله عنه: "والله لقد دخل عُمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجه الخنزير أحب إليّ من وجهه، وخرج من عنده وهو أحب إليّ من بعض أبنائي".

الولاء والبراء:

هكذا عندما تكون المركزية لشرع الله تعالى، العلاقات تُبنى على هذا الأساس، هناك إنسان يقول لك أنتم مُتعصّبون، ما هذا الولاء والبراء؟ بلحظة واحدة؟! وأنتم لستم مُتعصّبين؟! اليوم أنتم الصهانية المُعتدلين الذين توألون بعضكم على فكرة واحدة وهي إبادة المسلمين هذا ليس تعصّب؟! والأخرين الذين يوألون بعضهم على فكرة الاشتراكية ليس بتعصّب؟! وقيام أمريكا كلها على فكرة الولاء لأمريكا هذا ليس تعصّب؟! وقيام البيض على فكرة الولاء للأبيض والحرب على الأسود هذا ليس تعصّب؟! إلا إذا المسلم بنى لنفسه مرجعية خاصة بأنه يوآلي أولياء الله، ويُعادي أعداء الله، هذه الفكرة تعصّب وتشدّد، وأنتم منطرفون، لا، أنا فقط عندي فكرة صحيحة وأنت عندك فكرة مغلوطة، كلنا نوالي ونُعادي، كلنا نجعل المركزية لشيء مُعَيَّن، لا يوجد شخص ما عنده مركزية لشيء مُعَيَّن، فإمّا أن يقول لك الوطنية أو القوميّة أو حُبُّ الوطن، كل الناس لها مركزية، أنا مركزيتي ومرجعيتي بشرع الله عزّ وجل، فأنا أحب من يُحبُّ الله، ولا أقتل ولا أظلم من لا يُحبُّ الله، لكن لا أواليه، أنا ما عندي ولاء لأعداء الله،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ

 أَوْ أُتْبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ؕ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّبَهُمْ رُوحٌ مِّنْهُ ؕ وَبَدَّلْنَاهُمْ حَتَّىٰ تَجْرِيٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ؕ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ؕ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)

(سورة المجادلة)

لو كان والده لا يواليه إذا كان يحادّ الله ورسوله، يقف في وجه الله في وجه رسول الله، يُحارب الإسلام والمسلمين، ليس له مودة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)

(سورة الممتحنة)

ما دام هو لم يأخذ موقف عدائي من الإسلام وأهل الإسلام، فأبره وأقسط إليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ ؕ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)

(سورة الممتحنة)

فأنا أبني حياتي على أنّ مرجعيتي هي شرع الله تعالى، على أنّ مرجعيتي هي دين الله تعالى، أدين، ما معنى الدين؟ أي أدين إليه، دان إلى الشيء رجع إليه، يرجع إليه، يخضع إليه، الدين رجوع وخضوع إلى المنهج، فكل الناس لها دين، والدليل أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

 { تعيس عبد الدينار ، تعيس عبد الدرهم ، تعيس عبد الخميصة ، تعيس عبد الخميصة ، تعيس عبد الخميصة }

وانتكس وإذا شبك فلا انتقش }

(أخرجه البخاري)

فالناس تدين وترجع إلى شيء في مُحضلة الأمر، الإسلام بأمرك أن ترجع إلى الله ومنهج الله، إلى ما يُرضي الله، فما يُرضي الله تفعله، وما يُسخطه تتركه.
إذاً أحببنا الكرام، هناك حُب في الله وهو عين التوحيد، وهناك حُب مع الله، وهو عين الشرك، كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى، الحب في الله كل علاقة بين شخصين، بدأ بالزوجين وانتهاءً بأي شريكين، أو أي صديقين، كل علاقة تربط بين شخصين مرجعها إلى الله، هذا الحُب في الله، فما دامت العلاقة وفق منهج الله، فهي مستمرة ومتنامية، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم:

{ ما توادّ اثنان في الله فيُقَرَّرُ بينهما إلا بذنبٍ يُحَدِّثُهُ أحدهما }

(أخرجه البخاري)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا تَصَارَىٰ أَحَدُنَا مِثْلًا قَوْمًا **فَقَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ**
وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ **وَكَانُوا يَصْنَعُونَ (14)**

(سورة المائدة)

الذنب يُحْدِثُ فُرْقَةً وَالطَّاعَةُ تُحْدِثُ تَجَمُّعًا:

فالذنب يُحْدِثُ فُرْقَةً، والطاعة تُحْدِثُ تَجَمُّعًا، يعني مثلت حاد الزوايا، رأسه منهج الله، وطرفاه الزوج والزوجة، الشريك شريكه، الأخ أخاه، الصديق صديقه، هذان كلما اقتربا من منهج الله تعالى، فهما يقتربان من بعضهما حُكْمًا، وكلما ابتعدا عن منهج الله، رأس المثلث، فهما يبتعدان عن بعضهما حُكْمًا، هذا معنى المركزية، كل ما اقتربنا من منهج الله اقتربنا من بعضنا، وكل ما ابتعدنا نبتعد عن بعضنا، هذا سرُّ قول عمر رضي الله تعالى عنه " نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره، أدلنا الله ".

حسنًا الأمريكيان قوم لم يعزهم الله بالإسلام، عزهم بالطرق الواسعة، ونطاقه الطرافات، وسيادة القانون، اليوم هناك معادلة، اليوم أنت تقول لأحدهم، نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام، ونحن قوم سبب تخلفنا اليوم وعدم نصرنا هو بعدنا عن الدين، فيقول لك فوراً، وهل هم قريين من الدين حتى أن الله ينصرهم علينا؟ لا، هم ليسوا قريين من الدين، لكن هم قانونهم غير قانونك، المعادن تتمدد بالحرارة، أمّا الأخشاب لا تتمدد بالحرارة، لا تستطيع أن تضع الخشب مكان المعدن، المعدن له قانون والخشب له قانون، أو أن المعدن لا تطفو على سطح الماء، أمّا الأخشاب تطفو مثلاً، يعني قانونهم غير قانوننا، فهم قومٌ لم يُعزهم الله بالإسلام، وهم لم يدعوا الإسلام أصلاً، ساروا على سُنَّة الحياة الطبيعية، أنشؤوا التأمين الطبي، التأمين الاجتماعي، وحقوق الإنسان... إلى آخره، فنالوا رفعةً في الدنيا، وليس لهم في الآخرة من نصيب، حالهم أو قانونهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ مَا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ **حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ**
بِعَقَبَةٍ قَدِيمَةٍ **فَوَدَّ هُم مَّسْكُونُونَ (44)**

(سورة الأنعام)

كل شيء، الدنيا كلها مفتوحة أمامهم، أمّا نحن قوم نقول نحن مسلمون، إذا أنت الآن تتبّع قانون المسلمين، قانون المسلمين أنك كلما ابتعدت عن منهج الله، فنحن في فرقة وخصام وشفاء وتخلّف، وتشرذم والنصر بعيد عنّا، وكل ما اعتصمنا بحبل الله جميعاً، اقتربنا من بعضنا، واقتربنا من منهج الله، وحقّقنا مع بعض النصر والتوفيق والسداد والرشاد. فهما قانونان مختلفان تماماً، لا يُطبّق قانونهم علينا ولا قانوننا عليهم.

فتقول لي أليس من الأفضل أن تترك ونذهب إلى قانونهم ونرتاح، لا، لأن هناك آخرة، ولو لم يكن هناك آخرة لكان أحسن، لأنه تصبح المعادلة مختلفة، كما لو أنّ أحدهم بالعناية المُركزة، لأن وضعه صعب جداً، وواحد آخر جالس بغرفة عادية خمس نجوم، فالذي في العناية المُركزة إذا قال لك: ممكن أن أجلس خارج غرفة العناية، فتقول له لا، غير ممكن لأنك دخلت للعناية المُركزة ليتم الشفاء إن شاء الله تعالى، فنحن في العناية المُركزة، صحيح عندنا هموم ومشكلات طاحنة، ونشعر بأنّ النصر بعيد عنّا، وأعدائنا تكالبوا علينا، ومن كل قطب، لكن نحن في العناية المُركزة عند الله تعالى، لأن الأمل موجود في شفائنا، لأن الأمل موجود في نهضتنا، لأن الله تعالى جلّ جلاله، علم بعلمه الأزلي، أننا إن شاء الله سننهض من كيوتنا، هي سنواتٌ عجاف مريرة، سببها بُعدنا وتقصيرنا في ديننا، وتقصيرنا في حق ربنا، لكن إن شاء الله سنعود كما كنّا من جديد وهذه سُنَّة الحياة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِن يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرِحٌ مِّثْلُهُ **وَيَذَلُّكُمْ أَجْرٌ عَلَيْهِمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ**
لَئِن لَّمْ يَكْفُرُوا لَأَكْثَرُونَ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)**

(سورة آل عمران)

اللهم اجمعنا عليك، وفرّقنا عليك، ولا تجعل حوائجنا إلا إليك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.